الباب الثانى

عندما يسـرق الباحثـون

المقدمة

تعرضنا فى الباب الأول من الكتاب لنوعيات غير مألوفة من التجارة منها على سبيل المثال مافيا تجارة الأجنة وبيع البويضات عبر الإنترنت، الأرحام المؤجرة وكل ما سبق كان هدفه هو المال والشهرة وسنتعرض فى هذا الجزء لنوعية جديدة غير مألوفة أيضاً من التجارة وهى تجارة يعمل بها نوعية متميزة من البشر وللأسف تجارة فى عمل غير شريف يعتبر نوع من أنواع السرقة - ولأننا تعودنا أن نتعرض لأنواع جديدة وغير مألوفة فالسرقة هنا هى سرقة الجينات وهؤلاء اللصوص للأسف نوعية من الباحثين والعلماء والهدف هو المال والشهرة والتحكم وهؤلاء اللصوص.

هم لصوص جينات !! وبالطبع ليس العلماء والباحثون الشرفاء الذين يبحثون بإخلاص وتفانى بغرض إسعاد البشرية ولايتعلقون أو يسعون للشهرة وجلب الأموال من خلال أبحاثهم العلمية ولأن لكل قاعدة شواذ فالباحثين الذين نتحدث عنهم يسعون للشهرة وجلب الأموال حتى ولو على حساب الأمن ولو على رقاب العباد .. فهم لايراعون قيماً ولامبادئ ولا أخلاق ولاحدود .. وقد يتعلل البعض منهم ويزعم أن هذه الأبحاث لخدمة مشروع الجينوم أو لأى مسميات أخلاقية إلا أنه الباطل الذى يرتدى زى الحق وبالطبع تشير الأصابع إلى نوعية وفئة معينة بشركات من أمريكا - روسيا؟ الدول الغربية والسبب .. !! نتركه لك وبالطبع ستكون الضحية هى جينات الكائنات الحية للدول الفقيرة !!

وهى جينات نادرة يمتلكها أصحابها وبعد أن شبع الغرب من التهام خبرات هذه الدول بل واستعبادهم طويلاً لم يكتفوا واستغلوا العلم الحديث لسرقة .. محتوياتهم الجينية وسنتعرض لعدة أمثلة.

١- حدث في جزر أندامان

ففى سنة ١٩٩٣م اكتشف العالم «شاتو باد ياى» وهو هندى أن فى جزر

أندامان قبيلة تسمى قبيلة (أونج) يتمتع أفرادها بميزة عجيبة هى أنهم لايصابون بالملاريا رغم انتشار البعوض الناقل للمرض بهذه المنطقة وذلك لأن هذه المنطقة تقع فى إقليم الغابات المطيرة وهى وسط ملائم لنمو وتكاثر البعوض الناقل للمرض وبالتودد والأفراد القبيلة تمكن من الحصول على٣ نباتات معينة يستخدمها أفراد القبيلة بطريقة ما للحصول علي دواء فعّال يشفي ويقي أفراد القبيلة من الملاريا. وعند دراسته لهذه النباتات فى معمله وجد أن نبتتان بهما خواص مضادة للحمى والنبتة الثالثة تقوم بخفض عدد الطفيليات بدم المصاب بها وقام بتجربته وكانت النتيجة مشجعة وافترض هذا العالم أن أفراد هذه القبيلة يحتمل أن يكون بخلايا أجسامهم جين يسمي « الجين السداسى الشكل» يؤدى إلى إنتاج بروتينات خاصة تقاوم الملاريا ومثلها فى ذلك مثل بعض القبائل الأفريقية التى تمتاز باحتوائها على هذا الجين وللعلم فإن أحد رؤساء (شاتو باد ياى) فى معمل الأبحاث التابع للحكومة خطط لتسجيل براءة اختراع باسمه باعتباره المكتشف الحقيقى لعلاج الملاريا هادفاً لأن يكون المستغل الأول لحقوق بيع هذا الدواء. (رغم أن صاحب الحق هم حكماء قبيلة أونج) وفى حالة رئيس «شاتو باد» فكان يأمل أن تنهال عليه الشهرة والأموال من شركات الدواء بالعالم حيث إن المرض يقتل ما يزيد عن المليونى شخص سنوياً. من أمريكاً اللاتينية، إفريقيا، آسيا وبخاصة بعد ما عادت هذه البعوضة للظهور والتكاثر بشكل كبير وأصبحت مقاومة للمبيدات وبالتالى أكثر خطورة.

٢.. دماء الهنود الحمر تحمل مضادات فيروسية!!

ذهبت بعثة من الولايات المتحدة إلى قبيلة من الهنود الحمر تسمى هنود الجوايمى وأفرادها موزعين فى أوكلاهاما - تنزانيا - سيبريا وعددهم ٧٢١ فرداً وهم من القبائل المنعزلة وكان ذلك فى أواخر فترة الثمانينيات وأخذت عينات من دماء هذه القبائل لفحصها ومنها عينة دم لإحدى السيدات وكانت تبلغ من العمر ٢٦ عاماً وقاموا بتحليل هذه الدماء وفحصها بعناية ومنها تحاليل خاصة بالمناعة وتعرفوا على نوعية من الأجسام المضادة تبين بعد دقة شديدة أنها مضادات لفيروس يتسبب فى حدوث مرض ابيضاض الدم (اللوكيميا) وأيضاً

يشابه هذا الفيروس فى تركيبه فيروس «الإيدز» مما أدى إلى إغراء مندوبى بعثة الشركة الأمريكية للإفادة من هذا الاكتشاف الخطير لمصلحتهم الشخصية فأدى لمزيد من التفتيش فى جينات أفراد هذه القبيلة للبحث عن بقية الكنوز الجينية المدفونة و .. البقاء .. للأسرع والأذكى فى عالم اللصوص

٣ ـ حتي ولوكان لعاب الضفادع !!!

ويحدث ذلك مع أبناء قبيلة (واياناو) وتم الكشف عن وصفتهم هذه فى العلاج نتيجة دراسة قام بها فريق بحثى برازيلى وتقوم طريقتهم فى العلاج على أساس وضع لعاب نوع من الضفادع على عصا مدببة ثم وخز (حقن الشخص المريض فى ذراعه بهذه العصا) فيتمكن لعاب الضفادع بالدخول للأوعية الدموية بالذراع والسريان مع الدم بجسم المريض وأثناء ذلك يقومون بالإمساك بهذا الشخص من قدميه وتدليته عند جرف . وبعد فترة من حقنه باللعاب يرتعش ويسترجع (تيقياً) مافى جوفه وهكذا يشفى من علته.

وهى تستخدم لعلاج أنواع معينة من الأمراض يعرفها حكماء القبيلة.

ولقد أصبح من الشائع الآن أن نجد الكثير من الباحثين يعودون للفحص باهتمام فى الوصفات البدائية القديمة والتى كان كهنة القبائل المنعزلة وحكمائها يقومون بإعدادها بطرق خاصة لايطلع عليها سوى أشخاص ذوى صفات خاصة مميزة باعتبارها سر من الأسرار الهامة. بينما كان ينظر إليها من قبل علماء الغرب على أنها وصفات بدائية بلهاء تعتمد على الخداع والسحر ولا تتبع أى قواعد علمية صائبة ومفيدة وأن بعضها ليس سوى مجرد شراب عديم الفائدة تشفى نتيجة الاعتقاد فيه فقط .. ولكن بدأت هذه النظرة تووى وتتراجع الآن بعد مراجعة هذه الوصفات وتحليلها بدقة شديدة ومراقبة نتائجها سواء بين أفراد هذه القبائل البدائية أو على حيوانات التجارب أو المتطوعين. حتى برديات القدماء المصريين لم تسلم من أيديهم وكثيراً ما تبين مدى منفعة هذه الوصفات وفوائدها .

٤ ـ مثال: وصفة لعاب الخفافيش

ونذكر هنا أنه يتم فيها تناول لعاب الخفافيش للعلاج من أحد الأمراض

وعندما قام الباحثون بتحليل هذا اللعاب تبين لهم احتواؤه على إنزيم معين يعمل على إزالة التجلط الدموى بعد تكسيره للروابط بينهما. مما ألهم الباحثون وأغراهم بالانتفاع من هذه المعلومة الجديدة بالنسبة لهم لعمل نوعيات معينة من العقاقير باهظة الثمن لعلاج نوعيات مختلفة من الأمراض والربح طبعاً يدخل جيب ... ؟!

٥. اتفاقية بـ٢ مليون دولار

حيث تم خداع بعض الحكومات مثل جمهورية كوستاريكا وعُقدت اتفاقية بين شركة «ميرك وشركاه» الأمريكية للأدوية والعقاقير مع معهد كوستاريكا القومى للتنوع الأحيائي لجمع نباتات من جمهورية كوستاريكا مقابل ٢ مليون دولار!!. ويعتبر هذا المبلغ ضئيلاً ولايقارن مع المكاسب الكبيرة التى ستحصل عليها الشركة مقابل الاستفادة من هذه الثروة.

وبالفعل تمكنت هذه الشركة بموجب هذه الاتفاقية الخادعة من الحصول على ألفى نوع من أنواع وأصناف النباتات المختلفة والتى تم دراستها والاستفادة من مكوناتها الطبية المختلفة وبيعها بالطبع على هيئة أدوية وعقاقير طبية بملايين الدولارات !!!

ويرجع اتجاه مثل هذه الشركات لدولة مثل جمهورية كوستاريكا نظراً لاحتواء أرضها على ٥٪ من التنوع البيولوجى فى العالم.

إلا أن غفلة كوستاريكا عن هذه الثروة البيولوجية لم تستمر حيث قررت حكومتها الاستفادة من هذه الثروة والحفاظ على ما لديها ونادت العلماء فى كل مكان للمساعدة على حماية هذه الثروة البيولوجية التى تصل إلى ٥٠٠ ألف نوع من الحيوانات والنباتات.

ووقع المعهد القومى للتنوع البيولوجى اتفاقًا مع ١٢ دولة لتساهم فى هذا المشروع.

٦.عقارجيفاني

هو عقار تم التوصل إليه فى سنة ١٩٩٦م على يد فريق علمى بعد فترة

طويلة من الدراسة ومعايشة أفراد شعب «الكانى» المُنتمين إلى إحدى القبائل الفقيرة بجنوب الهند مشترك معهم إحدى الشركات الدوائية الهندية ومعهد أبحاث حدائق النباتات الاستوائية والمحصلة لكل ما سبق هى حصول الجهات البحثية على نبات يسمى «أروجيبا تشا» من العائلة النباتية (تريشوبوس زيلاينكوس) - والذى يعرفه شعب الكانى ومن فوائده أن له خصائص علاجية تقى من الشعور بالتعب والإجهاد.

وهكذا يشتعل السباق فى كل يوم والصراع بين شركات الأدوية العالمية وبخاصة الشركات الأمريكية وتتنافس على أسبقة الاستفادةمن المواد الفعّالة بالنباتات من كل أنحاء العالم حتى وصل إلى ٤٠ نوعًا من النباتات ويزداد هذا الرقم كل يوم. وهذه النباتات الأربعون من مجموع نباتات زهرية بالعالم تصل إلى نحو ٢٦٥ ألف نوع ويتم خضوع محتواها الجينى للفحص وأصبحت أيضاً معها ربع الوصفات البدائية موجودة بالولايات المتحدة حيث تعتمد على هذه النباتات . والمكاسب وراء كل ذلك فى جيب .. !!

٧ ..حتى لحاء الأشجار..!!!

وهذا المثال من الهند حيث تم العثور على لحاء أحد الأشجار بالهند وهى موجودة بالغابات المطيرة هناك وأخذ هذا اللحاء وإستخلاص دواء منه يشفى من لدغات الكوبرا ومن العديد من الأورام السرطانية وبالطبع فما فعله الباحثون لم يكن إكتشاف جديد ولكن إعادة صياغة لوصفة قديمة يتبعها حكماء قبيلة «إرولا» ولم يعثر الباحثون عن هذه الشجرة إلا بفضل أفراد وحكماء القبيلة.ونضيف على الشجرة الهندية تلك الشجرة الأفريقية التى كشف باحثون بريطانيون منذ وقت قصير عن تمكنهم من استخلاص مادة من لحاء شجرة تستخدمها قبائل الزولو فى الجنوب الأفريقى كتعويذة تمنع إقتراب الأعداء لكن الباحثون البريطانيون استخدموا المادة التى استخلصوها لمكافحة الأورام السرطانية، والدواء الذى صنعوه من هذه المادة أطلقوا عليه اسم «كومبرتستاتين أ٤» وهو يمنع الأوكسجين عن الخلايا السرطانية دون أن يحدث آثار جانبية خطيرة على المريض.

٨ ..أجسام مقاومة للسرطان !!!

وهناك عالم آخر .. وهو من الفلبين ويسمى (أسيد روشيا) ويحدثنا هذا العالم عن فريق بحثى أمريكى من الولايات المتحدة ومن المتخصصين فى دراسة أجناس البشر ذهبوا لإحدى القبائل العرقية فى منطقة الأمازون لفهم ودراسة أسباب مقاومة أجسادهم للإصابة بالعديد من أمراض العصرالتى يصاب بها إنسان العصر الحديث مثل الأورام السرطانية والسكر وغيرها من الأمراض وجمعوا عينات دماء من أفراد هذه القبائل لفحص الجينات بها وبالطبع استفادوا من وراء ذلك استفادة كبيرةعلمياً ومادياً .. وهؤلاء الباحثين طبعاً يتخفون تحت ستار زائف ولايجهرون بسرقاتهم حتى ولو كان فى خداع الحكومات نفسها وليس مجرد القبائل تحت ستار أنهم باحثين ممثلين لمؤسسات خاصة بدراسة تاريخ نشوء الإنسان وهجراته ويدعمها فعلاً جميعات بحثية مختلفة منخدعة بأفكارهم ذات المظهر البرىء أو ممكن أنها غير ...؟!!

والتدعيم لهذه الجمعيات البحثية من قبل الجامعات الأمريكية والأوربية المختلفة ويكون بمبالغ وميزانيات يصل بعضها إلى ٣٥ مليون دولار.

ومن السهل على الباحث البيولوجى التنقل بين مختلف المناطق والأجواء حتى فى الجبال والوديان بفضل التقدم العلمى المذهل الذى أتاح له معملاً صغيراً يتنقل به وكأنها حقيبة بها جميع الأدوات اللازمة لفحص العينات وتحليلها.

وللعلم فإنهم «أى هؤلاء الباحثين اللصوص وشركات الأدوية التى من نفس النوعية» . يسارعون بتسجيل حقهم فى براءة اختراع كل ما توصلوا إليه سواء المادة الفعّالة أو الجينات التى تم التوصل إليها بالكائنات الحية وغيرها.

وحجتهم أنهم يعتبرون أنفسهم أول من توصل لهذه الأدوية والعقاقير وأنه اختراعهم هم وبالتالى يحصلون على حق كفله القانون بحسن نيه «قانون براءات الاختراع» .

ويمنعون بمقتضاه أى دولة أو فرد بالانتفاع بهذه الاختراعات دون إذن من

هذا المكتشف اللص !!!. حتى الدول والقبائل صاحبة الكائن الحى الذى استفاد منه الباحث اللص !! أو وصفة سرقوها من إحدى القبائل !! وتم توليفها بشكل ما ...

- لكن ذلك لايمنع من أنه يوجد بكل دولة حُماة لها هم علماؤها وباحثوها المثقفون ذوى العقول اليقظة المتفتحة لمثل هذه السرقات والمثال هنا من الهند.

٩.عالم هندي يقظ

حيث تنبه لسرقات من قبل مندوبى عدة شركات كانوا يتسابقون ويتهافتون لسرعة استخلاص عدة عقاقير هامة من عدة نباتات توجد بالهند وأهمها شجرة «النيم» ويقظة هذا العالم أيقظت معه الكثير من المواطنين تنبهوا لصيحة عالمهم وأدى ذلك لقيام حركة بالهند تناهض هذه السرقات على كنوز الهند المدفونة وهذه الكنوز هى الجينات التى توجد بالمحتوى الوراثى بالكائنات الحية سواء نباتية أو حيوانية ومنها شجرة النيم بالهند. وهى تسمى الحملة المورثية Gene campaign أو سرقة الموروثات وممثل الحركة هو «سومان ساهاى» وتم الإعلان فى أحد مؤتمرات الأمم المتحدة (تحديات التسعينيات) بأن قوة السلاح ليست هى المهددة للأمن فى آسيا كما كان الحال سابقاً لكن الخطر يكمن الآن فى نوع جديد ويرتدى زى جديد يسمى (سرقة الموروثات) . وليست الهند وحدها من تنبهت فهناك حكومات كثيرة تنبهت لتحافظ على ثرواتها مثل: الصين ، البرازيل ، وأيضاً فى مصر.

١٠.الأطفال أيضاً ضحايا ..!!

وهم هنا ضحايا لشركات أدوية مختلفة جاءت من عدة جامعات غربية وأمريكية وهدف هذه الشركات الدنىء هو إجراء تجاربهم الإكلينية على أطفال هذه الدول لمعرفة نتائج بعض الأدوية بعد نجاح إجرائها على حيوانات التجارب وقبل بيعها فى السوق لكن يقظة شعوب هذه الأطفال منعت هذه الشركات من تحويل أجساد الأطفال لحيوانات تجارب ولكن هذه الشركات لم تيأس وذهبت لدول أخرى نذكر منها أطفال ٩ دول أفريقية تم تجريب مدى فعالية علاج وهو عقار يسمى «آزت المركب» يهدف لمنع انتقال ڤيروس الإيدز من الأمهات

الحاملات للإيدز إلى مولودهم. فياويل الشعوب الغير متيقظة وويل أطفالهم !!

والطريف أن هذه الشركات لم تعط أى مبالغ لضحاياها الذين جربت عليهم هذه العقاقير وهو عكس ما هو معروف ومتبع ويعلم الله أى ذريعة دخلت بها هذه الشركات على حكومات هذه الشعوب الفقيرة وحتى تكتمل الصورة لديك صديقى القارىء فالمنفعة من هذه الدراسات والأبحاث ذات الشكل البرىء والمضمون الخبيث هى منفعة الباحثين والشركات المتولية لهذه الأمور .

مثال آخر هو :

١١.مواطنون من جزر سليمان !!

حيث تم اكتشاف مضادات أحد أنواع الإيدز فى دماء أحد مواطنى جزر سليمان وهى تقع فى الجنوب الغربى من المحيط الهادى بل وتم حفظ هذه الموروثات فى بنك المورثات Gene Bank فى ولاية مريلاند وهو يبيع الاكتشاف لمن يدفع الثمن فيؤدى لمزيد من الحماس للصوص وسارقى موروثات الكائنات الحية فى كل مكان وبالأخص للدول النامية التى تعجز عن الدفاع عن حقوقها ولأن لديها أكبر مخزون من الثروات الطبيعية.

والسؤال الذى يتبادر للذهن هو :؟!

١٢.أليست هناك قوانين للحد من هذه الممارسات؟!!

والإجابة هى نعم ، فهناك ميثاق التنوع البيولوجى سنة ١٩٩٢م وهو أقرب ما قام به المجتمع الدولى لعلاج هذه الأمور وللأسف فالولايات المتحدة صاحبة أكبر عدد فى معامل الأبحاث البيولوجية وبالتالى أكبر السرقات ترفض التوقيع على هذا الميثاق !! .

وكأنه هو عهدها منذ زمن كما تفعل الآن فى قضية الاحتباس الحرارى !! إذ كيف توقع وحصيلتها من هذه السرقات مليارات الدولارات. لقد وصلت حصيلة الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من سرقات لجينات الكائنات الحية بالدول الأخرى لحوالى ١٠٠ ألف عينة جينية محفوظة فى بنوك الجينات لصالح شركات الأدوية اللاهثة وراء هذا التراث الجينى ومعها المزارع

المتخصصة . وفى كل مرة يقومون بسرقة من سرقاتهم يسارعون بتسجيل براءة اختراع لسرقاتهم بهدف إثبات ملكيتهم لهذه السرقة ووضع أيديهم عليها منتظرين جنى الأموال الطائلة من وراء هذه السرقات ذات الشكل المشروع على حساب الدول صاحبة الحق الأول فى الاستفادة والتى قد لا تجنى أى شىء أو تجنى الفتات!!

١٣.حتى فرنسا ..

فهناك باحث فرنسى لم يكتف بمآسى الاستعمار الفرنسى بأفريقيا وعلاماته الحزينة التى تركها على شعوب هذه الدول فتركها تعانى حتى الآن. فأضاف إلى ذلك قيامه بتسجيله لاكتشاف لعقار تم استخراجه من لحاء إحدى الشجرات الإفريقية والتى كان ولازال حكماء بعض القبائل الإفريقية يستخدمونه لعلاج أمراض خاصة بالرجال العجائز وبخاصة (تضخم البروستاتا)

وعادت سفينة نوح.بشكل جديد !!

لن نختم حديثنا بالسرقات فكما أن هناك باحثين لصوص يستهدفون جمع المحتوى الجينومى للكائنات الحية لأغراض دنيئة فهناك باحثين يهدفون الخير وخدمة المجتمع بل وبيئة الأرض بكل ما فيها من كائنات ومن بينهم د. دوان كرامر أستاذ الفسيولوجيا بكلية الطب البيطرى جامعة تكساس (أ)،(م) والذى أراد الاستفادة من التقنيات البيولوجية المستحدثة وأخذ على عاتقه تبنى مشروع هام تحمست له الجامعة ودعمته وهو (مشروع نوح) هدفه هو جمع وتخزين المواد الجينية من ألفى كائن حى تضمهم القائمة الحمراء - أى قائمة الكائنات الحية المعّرضة للإنقراض . خوفاً من أن تفنى وبالتالى فهو سيتمكن من خلال احتفاظه بموادها الجينية وبالاستفادة من تطور عمليات استنساخ الكائنات الحية المتوقع حدوثه فى المستقبل يمكن استعادة تلك الكائنات المنقرضة.

●●●